الجماعة السلفية للدعوة و القتال (في الجزائر)

(الزرقاوي؛ شامة في جبين التاريخ – الحلقة الأولى)

الكاتب: أبي عبيدة الجزائري (حفظه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم و هو حسبنا و نعم الوكيل،

الحمد لله القائل في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّـهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً }.

و الصلاة و السلام على نبيّ الملحمة و المرحمة القائل: (لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة) و على آله و صحبه الذين كسّروا جيوش المَرَدة و فتحوا حصون قلوبهم و هجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأوطان و الأهل و لم يعاودوها بعد وداعها و جاهدوا في الله حق جهاده حتى أمنت الأمّة من ضياعها.

و بعد:

فهذه صفحات يرقمها قلم التأريخ تنطق: "الزرقاوي شامة في جبين التاريخ..."

اليوم يوم الخميس 4 جمادى الثانية 1427هجرية، الموافق 08 جون 2006 ميلاديـة...، و الـوقت صـباحا..، و النبـأ هـو استشهاد الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي...!!.

لقد كنت واحدا من أبنـاء هـذه الأمّـة ممّـن نـزل عليهـم نبـأ استشهاد الشيخ كالصاعقة، إي و الله كالصّاعقة....، فيـالله عونك... و ياالله رحمتك....و شهد الله كم زادت دقّات قلبي باستمرار و أنا أتابع الحدث عبر إذاعة الـ (BBC).

ثمّ جالت الذاكرة هنا و هناك... و سـاحت فـي الآفـاق و مـا لبثـت حـتى تـذكّرت رحمـة اللـه العزيـز الوهّـاب...، فاستحضَرَتْ بعض المعاني التي زرعتها في أرضها مدرسـة الجهاد في سبيل الله سبحانه:

مدرسة: {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ}...
مدرسة: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}...
مدرسة: {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ}..
مدرسة: {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}..
مدرسة: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}..
مدرسة: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}..
مدرسة: {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}..
و أخيرا و ليس آخرا مدرسة: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

فيا لها من مدرسة عريقة... و يا خيبة من تخلّف عنهـا... يـا خيبة من تخلّف عنها...

ثمّ كان بعد هذا أن تـذكّرت ذلـك العقـد الفريـد مـن أسـماء الشهداء الذين قضوا نحبهم...، و على رأسهم إمام المتقين

و سيّد المرسلين و قائد المجاهدين محمد صلى الله عليه و سلم ثمّ عن يمينه و شماله أبو بكر و عمر و عثمان و علـي، و طلحــة و الزبيــر و سـيّد الشـهداء حمـزة و غيرهـم مـن الصحب الكرام رضوان الله عليهم عدد ما نزل القطـر مـن الغمام...، ثمّ جاء المدد و لحق بـذلك العقـد الفريـد أسـماء أخر من شهداء التابعين ثمّ تتابع المدد و انضاف إلـى العقـد أتباع التابعين و هكذا دواليك عبر القرون فرحم الله شـهداء الإسلام... رحم الله شهداء الإسلام...

و ما يزال العقد ينضمّ في سلكه اللآلئ ما بقي الجهاد قائما و هو (ماض إلى قيام الساعة)...

لا نعرفهم و لكنّ الله يعرفهـ[illegible] نَحْـنُ نَقُـصُّ عَلَيْـكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ... فللـه درّهم:

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها * و سَرَوا و ما حَنُّوا إلى نعمان**

ساروا رويدا ثمّ جـاؤوا أوّلا * سَيْـرَ الدّليل يؤم بالركبـان**

و كــان آخرهــم -و ليــس آخرهــم- عَلَــم مــن أعلام هــذا الزمان...، الشبح المخيف لمديرية الأمريكان... إنّه مَن:

يهتزّ "بوشا" على كرسيه حرقا من ذكره وجيوش الروم تخشاه.

لعلّكم قد عرفتموه... {سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً}...

الزرقاوي شَامَةٌ في جبين التَّارِيخ... نعم و الله شامة...

لماذا هذا العنوان...؟ و لماذا هذا الإسم...؟

لا يخفــى إســم الزرقــاوي علــى أبنــاء المســلمين بــل و الكافرين...

لقد كنت و أنا أتابع خبر مقتله عبر الإذاعات أَمُرُّ على بعضها أثناء البحث في المذياع فلا أفهم من لغـة بعضـهم شـيئا مـا عدا اسم "زرقاوي" !!... فما السرّ... و ما الخبر...؟!

عجيب و غريب أمرك يا أبامصعب...! فمن تكون أنت...؟

كنّا نسمع اسمك في بداية الأمـر عـبر الإذاعـات و القنـوات هنا و هناك... ثمّ لا زلت تكبر فـي العيـون و تكـبر يومـا بعـد يوم...! فمن تكون أنت يا أبا مصعب...؟!

و أخيرا و لله الحمد عرفت من أنت يا أبا مصعب... الحمد لله أنّي عرفت، لقد عرفت أنّك رجل إستثنائي رجالو سـيرة لا كالسِّيَر... نعم و الله...

عرفت بأنّك صناعة أتقنها يد مدينـة طيّبـة مباركـة...،فحـيّ الله " الزرقاء" و نحن في انتظار المزيد منها...

عرفت بأنّك صاحب الهمّة العاليـة التي تنـازلت لهـا أعـالي الهمم، و صاحب الشجاعة المذكورة التي تضاءلت أمامهـا شجاعة فرسان الأمم...

عرفت بأنّك البطل الذي أخصّ من أخص الأمريكيين فـي بلاد الرافدين بل و مضجع كلب الروم يثأر في البيت الأسود...

عرفت أبا مصعب بأنّك أحد هؤلاء الذين بـاعوا لأجـل دينهـم النفس و النّفيس إذا:

سينطق عنك جهادك في ملإ * و تكبر في العيون إذا ذكـرت**

ستخفى عن العيون إذا دُفنت * و تبقى في القلوب و لو فقدت**

و الله ستبقى...، و الله ستبقى... و كيف ننساك و:

لغة البطولة من خصائص أمتي * عنّا رواها الآخرون و ترحّموا**

إذا:

البطولات في آفاقنا ذُكرت * فإنّما بك يُضرب المثل!**

عرفت عنك يا أبا مصعب و عرفت... أسمح لي على عدم الإسهاب فيما عرفت... فالمقام لا يسعني المقصّر في ذكر مآثرهم و مناقبهم، مهما سوّد من الصفحات... و حديثي في هذه الكلمات سيكون عبر هذه المحطّات:

1. حبّنا ـ نحن المجاهدين في الجزائر ـ للشيخ أبي مصعب رحمه الله:

أخي المجاهد في كلّ مكان:

لقد تغلغل في نفوسنا نحن أبناء المجاهد في الجزائر- حبّ الشيخ أبي مصعب رحمه الله... فما من وسط شغاف قلوبنا... فحدّث عن ذلك و لا حرج، و دخلت معسكرات المجاهدين لرأيت من ذلك عجبا...، فهذا يردّد أقوال الشيخ من هنا...، و آخر يقرأ أبيات شعر قالها الشيخ من هناك...، و صارت أغلب الأشرطة المتداولة بين الإخوة المجاهدين هي أشرطة الشيخ رحمه الله...

لقد أبدلنا الله بأشرطة مشايخ السوء خيرا...، فكم انتشرت أشرطته في أوساط المجاهدين، و كم تغلغلت

معاني كلماته في أعماق السامعين... و لا غرابة فهذا شـأن من يقول و يفعل...

و شهد الله أنّ حبّ المجاهدين للشّيخ يصـعب وصـفه... إي و الله يصعب وصفه... فرحم الله أبا مصعب...

إذا أوقد ناره بالعراق * أضاء الجزائر سنا ناره**

ربّما الآن عرفتم لمـاذا كـان الزرقـاوي شَـامَةٌ فـي جَبْهَـةِ التَّاريخ...

و ستعرفون الزرقاوي بعد حين...

2. مـاذا بعـد قتـل الشـيخ أبو مصعب الزرقـاوي رحمه الله ؟:

لقد رحل الشيخ أبو مصعب و قد أدّى الذي عليه...، نحسـبه و الله حسيبه، و السؤال:

ما الذي خلّفه الشـيخ لأمّتـه، و مـا الـذي سـطّره لإخـوانه و أتباعه...؟

إنّ من الناس مَن ينظـر إلـى الجهـاد و مـا فيـه فـي حيـاتهم و بعـد ممـاتهم... و "دم الشـهيد طهـور و..."...، و لكـن أصـحاب النظرة السّطحية و الأفق الضيّق لا يعلمون و لا يفقهـون... فلا يـدركون هـذا و لا يعقلـوه!. بـل تهـم صـرعى كلمـة: (قتلوه)!.

إنّ حادثة قتـل الغلام خيـر شـاهد و مـن أروع الأمثلـة علـى الذي نطرق بابه و نقصده...، و الذكيّ يملي عليه فهمـه مـا لم يُذكر و تكفيه الإشارة عن طول العبارة... و في التلميـح ما يغني عن التّصريح...

يغنيك إجمال قولي عن مفصّلهفي ذكرك البحر معنًى تحته الدّرر!

فانتبه... انتبه...!!

لقد رحل أبا مصعب و خلّف خلفه بطولاته و محاضراته... ذاك المعين الذي لا ينضب، فلينهل منه المسلمون عامّة و المجاهدون خاصّة... إلعق العسل و لا تسل...

لقد زار محاضراته جمالا و معنًى الترجمة الحقيقية لكلماته على أرض الواقع... لقد صدرت كما قال: "مرا جندي واقف على عتبات الحرب و أنين المعمعات".

و هذا هو السر البديع الذي جعله يدفع بنا و تعلّمنا أشياء كثيرة في فترة و جيزة قصيرة... و صارت: **(كالغيث أينما وقع نفع)**...

و يحمل بنا هذا المقام ذكر كلمات سيّد قطب رحمه الله التي طار بها الركبان... فأعِرُه سمعك لحظات لا تطول و أرجو أن يتسع صدرك احتسابا لما يقول: "ما كانت ألف خطبة و خطبة، و لا ألف رسالة و شهيد لتلهّب الدعوة و الجهاد في نفوس المسلمين كما فعلتها قطرات الدم الزكي الوضّاء، إنّ كلماتنا تستقلّ من نفس من الشمع حتى إذا متنا دبّت فيها الروح و كتبت لها الحياة. حيّ الله المجاهدين في سبيل الله لقد تركت المسلمون حين جدّ الجدّو تحرّج الأمر و لم يعد الجهاد وقوفا و تصفيقا، بل عملا و تضحية، ولم يعد الكفاح دعاية و تهريجا، بل فداءو استشهادا فقد تلفّت المسلمون.... لقد تلفّتوا فلم يجدوا إلّا المجاهدين في سبيل الله حاضرين للعمل مهيّئين للبذل مستعدّين للفداء، مجرّدين للكفاح، معتزمين الإستشهاد...، لقد تركوا غيرهم يخطبون و يكتبون، أما هم فذهبوا فعلا إلى ساحات الجهاد، لقد تركوا غيرهم يجتمعون و ينفضّون، أمّا هم فقد حملوا سلاحهم و مضوا صامتين، غيرهم يحاول

أن يأخذ طريقه إلى العمل و يحاول أن يبدأ في التدريب، أمّا هم فكانوا وحدهم عزّة الإسلام العظيم، و ذخيرته المخبّى و وقوده الذي يعتمد عليه، لقد أعدّوا أنفسهم للجهاد فلبّوا منذ اليوم الأول لداعي الجهاد...، إنّ الصغار المهزومين لا يدركون روح الإسلام التي يسير على هديها المجاهدون...، إنّ أرواحهم الهزيلة الضئيلة المذهولة لا يمكن أن ترتفع و تتّسع على تلك الآفاق العالية، إنّهم لا يؤمنون بأن لا كفاح بلا عقيدة، وإنّ أصحاب العقيدة هم الذين يكثرون عند الفزع، و يقلّون عند الطمع، إنّ الواقع العملي يؤيّد هذه الحقيقة، و أنّ المجاهدين هم وحدهم اليوم في الميدان، لأنهم هم وحدهم أصحاب أصفى عقيدة تدفع المؤمنين و تدفعهم نحو الميدان " اهـ.

رحم الله سيد، فهذا هو الوعظ الذي يدخل على القلوب بلا استئذان، لقد دبّت الروح في كلماته فدبّت بها الحياة... فوالله لقد وصفت فأصبت و ذكّرت فنفعت.

3. الجهاد ليس معلّقا بأشخاص:

يقول أحد قادة الجهاد الإسلامي الشيخ الحافظ يوسف بن صالح العييري تقبّله في الشهداء: "إن المشاهد اليوم أن الأمة الإسلامية إن لم يكن بلسان مقالها تعلق الجهاد بأشخاص فبلسان حالها و كثير من المسلمين يقول لك: الدين دين الله وإن ما خدم إلا سوف يخلق الله له خدماً يذودون عنه، ولكن حينما يأتي إلى تطبيق ذلك القول على الواقع نجد أننا لم نصل بعد إلى خطوات تطبيق هذا المنهج على حياتنا، و إن التناظر اليوم إلى حال الأمة الإسلامية من خلال أدبياتها وخطبها يجد أن شريحة لا يستهان بها من الناس يربطون الأحداث بأشخاص ليس على مستوى الجهاد فحسب بل إنه يتعدى إلى مجال الدعوة والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و غيرها.

وما يهمنا في هذه الحلقة هو أن نثبت أن الجهاد غير معلق لا بقيادات ولا بأفراد، وتعليق الجهاد بأشخاص سواء كانوا قيادات أو مجاهدين يعد آفة عظيمة تعصف برسوخ عقيدة شعيرة الجهاد لدى المسلمين، كما أن تعليق الجهاد بأشخاص أيضاً يضعف من قناعة ديمومة الجهاد وصلاحه لكل زمان، بل إنه سيكون أهم عائق نفسي ومنهجي أمام كل من أراد أن يسلك درب الجهاد ويتفرغ لتلك الشعيرة العظيمة.

لقد نهى الله سبحانه وتعالى أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم على التعلق بغير وجده والتعلق بدينه، وبين لهم أن التعلق بأشخاص بشكل باطل يفضي إلى ربط العمل به وقد ينتهي العمل بانتهاء حياة الشخص، ونهى الله سبحانه وتعالى للصحابة رضي الله عنهم عن التعلق بأشخاص لم يأت نهياً عن التعلق بشخص مثلهم لكن جاء نهياً لهم بأن يعلقوا الشعائر بأشرف خلق خلقه الله تعالى سبحانه وتعالى وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم.

نهاهم الله تعالى عن التعلق بشخص النبي صلى الله عليه و سلم فقال: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}.

وهذه الآية نزلت لتربي الصحابة رضوان الله عليهم وتنهاهم عن المنهج الفاسد الذي يفسد العبادة، وهي تعليق العمل بأشخاص، وليس المقصود من تعليق العمل بأشخاص أي إشراكهم مع الله، فهذا شرك أصغر أو أكبر أحياناً، ولكن مقصودنا من تعليق العمل بأشخاص هو أن يرى المسلم بأن هذه العبادة لا سيما الجهاد لم تنجح أو تتقدم أو تحقق شيئاً إلا لأن الله تعالى جعل هذا الرجل أو ذاك على طليعة العاملين لها، وهذه هي أقل الصور التي تدخل في نهي الله سبحانه وتعالى عن ذلك المنهج، فقد نهى الله أصحاب الرسول صلى الله عليه و سلم عن ذلك، وأقوال

المفسرين في هذه الآية توضح المقصود من كلامنا السابق، وتبين أيضاً خطر ذلك المنهج الذي يؤدي حتماً إلى ترك الدين أو ضعف العمل له.

قال ابن كثير في تفسير الآية المتقدمة: 1/410: "لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم نادى الشيطان ألا إن محمدا قد قتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم قتلت محمدا وإنما كان قد ضرب رسول الله فشجه في رأسه فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد قتل، وجوزوا عليه ذلك كما قد قضى الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أي لم يزل من بعثه الله في الرسالة وفي جواز القتل عليه.

قال ابن أبي نجيح عن أبيه أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال له يا فلان أشعرت أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال الأنصاري إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم، فنزل {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة.

ثم قال تعالى منكرا على من حصل له ضعف {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} أي رجعتم القهقري {وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} أي الذين قاموا بطاعته وقاتلوا عن دينه واتبعوا رسوله حيا وميتا.

وكذلك ثبت في الصحاح والمساند والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن

الصديق رضي الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبل أبو بكر رضي الله عنه على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو مغطى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها.

وقال الزهري وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس وقال: أجلس يا عمر، قال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}، قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض.

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا عبد الله بن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لاقاتلن عليه حتى أموت والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه فمن أحق به مني.

وقوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً}، أي لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له، ولهذا قال {كِتَاباً مُؤَجَّلاً}، كقوله: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي

كِتَابٍ}، وكقوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ}، وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال؛ فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه، كما قال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال سمعت أبا معاوية عن الأعمش عن حبيب بن صهبان قال: قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النقطة يعني دجلة {مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً}، ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم أقحم الناس فلما رآهم العدو قالوا ديوان –أي جن بالفارسية- فهربوا" أهـ كلامه رحمه الله.

قال صاحب زاد المسير في تفسيره لهذه الآية: "قوله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} قال ابن عباس: صاح الشيطان يوم أحد: قتل محمد، فقال بعضهم لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرنا وإخواننا ولو كان محمد حيا لم نهزم فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية، وقال الضحاك: قال قوم من المنافقين: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية، وقال قتادة قال أناس: لو كان نبياً ما قتل".

وقال صاحب فتح القدير 1/395 في تفسيره لهذه الآية وقوله {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} سبب نزول هذه ما سبق من أن الشيطان صلى الله عليه و سلم لما أصيب في يوم أحد صاح الشيطان قائلا: قد قتل محمد ففشل بعض المسلمين حتى قال قائل: قد أصيب محمد فأعطوا بأيديكم فإنما هم إخوانكم، وقال آخر: لو كان رسولا ما قتل، فرد الله عليهم ذلك واخبرهم بأنه رسول قد خلت من قبله الرسل وسيخلو كما خلوا، فجملة قوله {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} صفة لرسول والقصر قصر إفراد كأنهم استبعدوا هلاكه فأثبتوا له صفتين؛ الرسالة وكونه لا يهلك، فرد الله عليهم ذلك بأنه رسول لا يتجاوز ذلك إلى صفة عدم الهلاك، وقيل هو قصر قلب وقرأ

ابن عباس (قد خلت من قبل رسل)، ثم أنكر الله عليهم بقوله {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} أي كيف ترتدون وتتركون دينه إذا مات أو قتل مع علمكم أن الرسل تخلو ويتمسك أتباعهم بدينهم وإن فقدوا بموت أو قتل، قوله {وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ} أي بإدباره عن القتال أو بارتداده عن الإسلام فلن يضر الله شيئا من الضرر وإنما يضر نفسه {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} أي الذين صبروا وقاتلوا واستشهدوا لأنهم بذلك شكروا نعمة الله عليهم بالإسلام ومن امتثل ما أمر به فقد شكر النعمة التي أنعم الله بها عليه " أهـ كلامه رحمه الله.

قال صاحب العذب النمير في بيان الأسباب: "قوله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أخرج الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة ومن طريق الربيع بن أنس قالا: لما فقدوا النبي يوم أحد ونادى الشيطان: إن الناس: لو كان نبيا ما قتل، وقال ناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به فنزلت، زاد الربيع ذكر أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال أشعرت أن محمدا قتل فقال الأنصاري إن كان محمد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزلت.

ومن طرق أسباط عن السدي لما كان يوم أحد فذكر القصة وفيه وفشا في الناس أن محمدا قد قتل فقال بعضهم: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان، يا قوم ارجعوا إلى دينكم قبل أن تقتلوا، فقال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل فقاتلوا على دينكم، وانطلق رسول الله حتى أتى الصخرة فاجتمع عليه ناس فنزل في الذين قالوا إن محمدا قد قتل {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ}.

ومن طريق ابن إسحاق حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع الأنصاري من بني عدي بن النجار، أن أنس بن النضر مال إلى نفر من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم

فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله!، فقال لهم: فما تصنعون بالحياة بعده، موتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل" أنتهى كلامه رحمه الله.

وكلام أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي تفسيرها كلام يطول نقله، ولكننا نستخلص من كلامهم السابق، **أن الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد وسمعوا بخبر قتله كانوا بين منهجين؛ أصحاب منهج مذموم، وأصحاب منهج ممدوح.**

فأصحاب المنهج المذموم؛ هم الذين حذرهم الله في الآية وحذر من منهجهم المذموم، و هو تعليق العمل بأشخاص حتى لو كان الشخص رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأصحاب ذلك المنهج المذموم كانوا طائفتين؛ طائفة فتروا عن العمل وأصابهم الخور والخور بسبب الصدمة التي جاءتهم حتى فكروا بالسلامة من القتل وأخذ الأمان من الكافرين، وطائفة أخرى من أصحاب المنهج المذموم كان ضلالهم أشد فقد اعتقدت تلك الطائفة الكفر وصرحت به وهم الذين قالوا لو كان نبياً ما قتل، أو قالوا ارجعوا إلى دينكم الأول قبل أن تقتلوا.

وقول هاتين الطائفتين من أصحاب المنهج المذموم هو قول كثير من المنتسبين إلى الإسلام اليوم، الذين يتعقون في الصحف والمجلات والقنوات الخ قالوا لو كان جهاد الطالبان والعرب معهم حقاً ما خسروا من المدن وما هزموا، وطائفة أخرى تقول خلاف (الأفغان العرب) أن يضعوا أيديهم في أيدي حكوماتهم ليخرجوا من هذا المأزق، فما أشبه الليلة بالبارحة، فقوم استدلوا بالهزيمة العسكرية على بطلان دين محمد صلى الله عليه و سلم وأنكروا رسالته لما وصلهم خبر مقتله وكانوا يقاتلون معه في الميدان، واليوم يتأكد ذلك المنهج واضحاً من أصحاب الضلال الذي استدلوا ببطلان منهج الطالبان والمجاهدين

بالهزيمة العسكرية، فالتاريخ يعيد نفسه، وأهل الضلال لهم سلف سبقوهم في كل شر.

ولكن أهل الهدى والدين الحق وهم أصحاب المنهج الثاني؛ المنهج الممدوح الذي نقله لنا أهل التفسير أثناء المعركة، هم الذين أجابوا عن خبر مقتل النبي صلى الله عليه و سلم بقول أنس بن النضر رضي الله عنه حينما مر على نفر من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله!، فقال لهم: فما تصنعون بالحياة بعده، موتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل.

ويمثل هذا المنهج أيضاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ الذي قال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

ويمثل منهجهم أيضاً علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ الذي قال بعدما قرأ الآية {وَمَا مُحَمَّدٌ...}: (والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل لأقاتلن عليه حتى أموت).

وهذا هو منهج الصحابة جميعاً رضي الله عنهم؛ فهم الذين كانوا يعبدون الله حقاً بعد وفاة نبيه صلى الله عليه و سلم، واصلوا الطريق ولم يفروا عن الجهاد ولا عن الدعوة والعبادة بل ساروا على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم.

فإن هزموا تمثلوا قول الله تعالى: {وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، وقوله تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

وإن انتصروا تمثلوا قول الله تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

هذا هو المنهج الحق الذي يرتضيه الله لنا، أن يكون العمل معلقاً بالأدلة الشرعية، والحكم على الأمور هل هي حق أم باطل لا يكون بناءً على ما حققته من نتائج، بل إن الحكم على أي قضية يكون بناءً على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، ومن أراد أن يحكم على المعارك بنتائجها فيلزمه على هذا المقياس أن يقول والعياذ بالله معركة أحد معركة باطلة أخطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بخوضها، لأنه هزم والهزيمة دليل على بطلان المنهج عند أهل الإرجاف والجهل.

فأصحاب المنهج الباطل الذين أنكروا نبوة النبي صلى الله عليه و سلم وأنكروا صحة هذا الدين، هم الذين علقوا الدين بأشخاص وعلقوا الجهاد برموز، ومنهجهم أدى بهم إلى فساد عظيم، **حيث أنكروا المقدمات بسبب بطلان النتائج أو فشلها**، ومتى ما وصل المرء إلى هذا المنهج فسيقع حتما في الكفر أو اليأس والهبوط، وهذا هو منهج كثير من الرويبضات اليوم، الذين لا يستحيون من الله ولا من عباده.

ففي كل حدث لهم قول يناقض ما قبله بأيام، فإذا رأوا نصراً أشادوا وزادوا وأعادوا في المدح والتمجيد، وإذا رأوا هزيمة وابتلاءً من الله لعباده ضللوا وبدعوا ونقدوا وسبوا وشتموا.

ولعل أعظم حكمة لله سبحانه وتعالى في لحوق الهزيمة بالمجاهدين هو تصفية صفوفهم وتمحيصهم أولاً، ثم تمحيص من تمسّحوا بهم ونسبوا أنفسهم إليهم.

وقد كشف الله أساليبهم و وصفهم وصفاً دقيقاً، حيث قال: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً # وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً }

وقال الله عنهم فاضحاً لأساليبهم العفنة: {الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً }.

نعم شعيرة الجهاد لا يقوم بها من كان أهلاً لذلك فدونه ودون النصر والتمكين مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل، وهذا الشعيرة أيضاً لا يناصرها اليوم من كان عدة للبلاء والفتنة، أما من كان منهجه منهجاً مائعاً هلامياً لا يُعرف هل هو مناصر للجهاد أو معارض له، فيكفيهم كشف الله لحيلهم في هذه الآيات وفي سورة التوبة فضح لحيلهم الشيطانية وتعرية لمناهجهم الباطلة.

إن تعليق الجهاد أو المعركة بأشخاص لا يفضي إلا إلى هزيمة محققة، فإن لم تكن هزيمة حسية في الميدان فإنها هزيمة معنوية تتمثل في الصور التي يرسمها الجهاد عند فقدان القيادة التي ظن المسلمون أنهم لا يسيرون إلا بها، لذا فإنه من الخطأ أن يتعلق الناس بأشخاص أو بقيادات، فيجب تحرير شعيرة الجهاد من ربطها بالقبور، نعم نحتاج للقيادة لربط المجاهدين بها ونحتاج للقيادة للتخطيط والتدبير، ولكن فقدان القيادة لا يعني تكسر الروابط التي بين المسلمين و شعيرة الجهاد، وكما أخرجت ساحات الجهاد قيادات بهذا الحجم فإنها ستستمر بإخراج القيادات.

والتاريخ شاهد على أنه ما خلا عصر من العصور بعد النبي صلى الله عليه و سلم إلا وفيه أسود يذودون عن هذا الدين

حتى يخيل لمن سمع عنهم أنه لم يسبق للأمة مثلهـم، ولـم تعقم نسـاء المسـلمين أن يلـدن مثـل عمـر و علـي وخالـد والمقداد وعكرمـة وصـلاح الـدين وقطـز فالأمـة كـ الغيث لا يعرف الخير فيها هل هو في أولها أم في آخرها.

وإن قتل القيـادة لـدى المسـلمين الـذين تربـوا علـى عـدم تعليق الجهاد بالرموز لا يزيدهم علـى مبـدئهم وطريقهـم إلا إصراراً، لأنهم يعبدون رب الجهاد لا قيادة الجهاد، فالقيادات موجودة في أرض المعركة وهي معرضة للقتل كما يعـرض للقتل أي جندي في المعركـة، بـل إن القـادة يبحثـون عـن الشهادة ويتظرون اليوم الذي يزفون فيه إلى الحور العيـن ويتشرفون برؤية رب العالمين، وكلهـم يحـرص علـى ذلـك اليوم ويسعى له ويتمناه.

فإذا حصل للقادة ما تمنوه كـان هـذا عمـر أو الشـيخ أسامه أو القائد شامل باسييف أو القائـد خطـاب أو غيرهـم من قادة الجهاد في كـل مكـان حفظهـم الله جميعـاً، فـإن حصولهم على ما تمنوه ودعوا الله بـه لا يفيد إلا نصـراً لهـم بأشخاصهم، أما الجهاد فإنه لن يضيع فهو شعيرة تكفل الله بدوامها إلى يوم القيامة، ووعد الله عباده بالنصر إذا حققـوا شروط النصر سواءً كانت معهم تلك القيادات أو قتلت فـي سبيل الله تعالى.

فحري بنا ألا نعلق الجهاد أشخاص ونربط الحرب برموز، وكما يقول الشيخ سليمان أبو غيث: كلمة له [قبل أيـام] "إذا قتل أسامه فألف أسامة سيحملون الراية من بعده".

وقال الشيخ أسـامه بنفسـه فـي إحـدى اللقـاءات المصورة له عندما سئل عن إمكانية تفكك القاعدة والأفغان العرب إذا ما حصل اغتياله، فقال:

(إن اغتيالي أعدّه شهادة في سبيل الله تعالى وهذا ما كنت أتمناه وأسأل الله أن يرزقني الشـهادة، وأسـامه مـا هـو إلا

فرد من أبناء هذه الأمة، وفي الأمـة رجـال كـثر مسـتعدون لفداء هذا الدين بأنفسهم وبما يملكون، فأسامه ليس فـرداً بل إنه يمثل منهجاً يؤمن به كل أبناء الأمة.

وختاماً؛ فإنّنا نحذّر أبناء المسلمين جميعاً أن يعلّقـوا الجهـاد برموز أو يعلّقوا المعركة بأشخاص، فهذا منهج باطـل وشـرّ عظيم يفسد الدين والدنيا، فالجهاد شعيرة من شـعائر اللـه تعالى، ومن ثوابتنا أنه مـاض إلـى يـوم القيامـة، وقـد مـات النبيّ صلى الله عليه و سلم ولم يتغيّر منهـج الصـحابة فـي الجهاد وزادت فتوحاتهم، ومـات أبـو بكـر رضـي اللـه عنـه وتوسّعت دولة الإسلام ولم تتأثر شعيرة الجهاد، وقتل عمـر رضي الله عنه وازداد المسلمون في الأرض انتشـاراً، وهكذا كان أمر المسلمين جيلاً من بعد جيل.

من ثوابتنا أيضاً أن الجهاد مبدأ وشعيرة عظيمة لا تتغيّـر ولا تـتزعزع بفقـد أشـخاص ولا قـيادات، نسـأل اللـه تعـالى أن يهدينا الصراط المستقيم ويعلي شأن أمّتنا ويعزّها على أمم الكفر قاطبة، إنّـه ولـي ذلـك والقـادر عليـه) **إنتهى كلام الشيخ أسامة حفظه الله.**

فلاحظ رحمك الله ما الذي يوصي به القـادة العظـام لهـذا الدين العظيم... وفي هذه الحملة ما يكفي...

....يتبع في الحلقة القادمة إن شاء الله...

المصدر: الجماعة - العدد الثامن
(مجلة دورية تهتم بشؤون الجهاد الجزائري)

جمادى الثانية 1427 هـ
يونيو/حزيران 2006 م